

الاشكال والتقاليد القديمة هي قمة الانتان وأن التجارب الجديدة في الشعر الحر ليست سوى سخافات فارغة .

ان هذه المقدمة ليست خارجة عن الموضوع الذي يجري بحثه ، لان الاغاني الشعبية كانت دائما تتأثر بنماذج الشعر الفصيح ، فمصادر الوحي مشتركة بين الصنفين والخلاف بينهما انما يكمن في مدى التهذيب والابداع والتنفيذ ، ولقد سبقنا الإشارة الى مدى تقاربهما في البحور والى ان اكثر الاغاني الشعبية تستعمل أوزان الشعر الفصيح .

لكن عندما نأتي الى القوافي نجد الاختلاف كبيرا بين هذين الصنفين ، ذلك ان القصائد الفصحى هي شعر في الدرجة الاولى بينما الاغاني العامية هي اغان قبل ان تكون قصائد . وثمة سبب جوهري آخر هو ان هذه الاغاني تؤلف بصورة عفوية وترتجل بوحى الظروف وفي مثل هذه الحالة فليس هنالك وقت عند المفني ليقف ويتأمل ويفكر في ادواته الفنية ، ولن ينقذه مما هو فيه سوى موهبته وقوة عارضته وسعة حيلته . واللون الشعبي الذي يتحكم فيه نظام القوافي على نحو ما هو مألوف في الشعر العمودي هو اغاني الافراد من مثل نهر واحليوة ، اما في الاغاني الشعبية التي تمثل الشعب وليس فردا من افراده فان نظام القافية يختلف من أغنية الى أخرى كما ان معنى القافية يتسع ليشمل نهاية الشطرة الاولى من البيت ، ولكن هذا ليس بدعة تفرد بها الاغاني الشعبية لان الفصحى عرفت في اشعارها ولو على نطاق محدود . ونحن نجد ان العتابة ، كأغنية شعبية تلتزم بأن تكون الشطرات الثلاث الاولى من البيت الواحد منتهية بنفس القافية بينما تنتهي الشطرة الرابعة ، وهي التي تتمم البيت ، بقافية مغايرة رويها « الف » أو الف بعدها باء . ولعل هذا ناجم عن حاجة مغني هذه الاغنية الى أن يمد صوته بالفناء الى أقصى ما يستطيع قبل أن يختتم البيت ، ويلاحظ هذا النظام في كل بيت من العتابة ، وإن كنت عثرت ببيت واحد يسير على نظام مغاير وقد يكون البيت الأخير من نوع آخر من العتابة يعرف باسم « السداسي » (١) نسبة للشطرات الست التي يتكون منها أي أنه يتكون من ثلاثة أبيات شعريته بدلا من البيتين (= اربع شطرات)

